

## الباب الرابع

## مدرسة الديوان أو المدرسة التجديد الذهني

## ودور المازني في إنشائها

مدرسة الديوان والمازني	الفصل الأول:
كتاب الديوان	الفصل الثاني:
عباس محمود العقاد ( ١٨٨٩ - ١٩٦٤ )	الفصل الثالث:
عبد الرحمن شكري ( ١٨٨٦ - ١٩٥٨ )	
محاولة مطران في رومانسية	الفصل الرابع:

## الفصل الأول

### مدرسة الديوان والمازني

المازني أحد الثلاثة الذين لا يكاد يذكر أحدهم إلا وذكر الآخرون، إذ تجمعهم جميعا وشيخة فكرية واحدة. واتجاه أدبي لا يختلف كثيرا في طابعه وصرامته وهم من أبرز رواد التجديد في أدبنا المعاصر.

إن كتاب مدرسة الديوان في مصر في عام ١٩٢١ بعثوا المنافسة الأدبية بين القدامى والمحدثين، تلك المنافسة التي لا تخلوا منها تاريخ أدب. وهي دائما فترات أدب خصبة من تاريخ الأدب. وقد تبعت مدرسة الديوان المبدأ الرومانسي في الأدب والنقد الأدبي الحديث، واستهجمت تقليد الكتاب المعاصرين للقدامى. وقد أحدثت مدرسة المازني ثورة في الأدب، ووضعت عنه أوزارا طالما أخرته بعيدا عن الركب، وجذبته طويلا عن الضياء، فما أن نفضوا عنه ركام الألفاظ والبديع حتى عني بالمعنى، وعنى بالموضوع واحتفل بالفكرة وانساب في التعبير.

وقد سادت مدرسة الديوان في النصف الأول من القرن العشرين مجالات الشعر والنثر والنقد. فأصبحت مصر بفضلها مركزا للنشاط الأدبي الحديث يبدأ بمدرسة الديوان.

ومن هنا تجيء القيمة الكبرى لمدرسة الديوان. لأنها أول من أرسى قواعد النقد الحديث في الأدب العربي الحديث في العالم العربي كله. وبذلك أدخلت أعماقا جديدة وآفاقا ما كان للعرب بها عهد في جولاته حول تذوق العمل الأدبي.

يقول الدكتور أحمد هيكل في كتابه "تطور الأدب الحديث" وقد ألف بعض الدارسين أن يطلقوا على هذا الاتجاه اسم "جماعة الديوان" أو "مدرسة الديوان" ووجهة نظرهم في نسبة هؤلاء الشعراء إلى الديوان

مسوغة بأن هذا الكتاب الذي أصدره العقاد والمازني سنة ١٩٢١، يحوي أهم مبادئ هؤلاء الشعراء جميعا ويمثل حركتهم التجديدية التي قابلوا بها الحركة المحافظة. ولعل من الأفضل ترك هذه التسمية لسببين، أولهما أن كتاب الديوان قد ظهر بعد ظهور هذا الاتجاه الشعري بوقت ليس باليسير، ونسبة الاتجاه إليه توهم الارتباط الزمني بين الاتجاه والكتاب. وتوهم تأخر ظهور هذا الاتجاه عن زمنه أكثر من عشر سنين. وثاني السببين، هو أن كتاب الديوان "قد تضمن هجوما عنيفا على شكري أحد أعلام هذا الاتجاه ومؤسسيه. فمن الأفضل أن لا ينسب شعر شكري إلى كتاب قد حوى هجوما عليه وتجرىحا له، ومن الأفضل كذلك، ألا ينسب الشاعر نفسه إلى كتاب بلغ من كلمه له أن وصفه بالجنون."<sup>١</sup>

علينا أن نعود إلى الوراء قرابة نصف قرن من الزمان، وعلى وجه التحديد في عام ١٩٢١ إذ ذاك نلتقي بروادها الشباب الثلاثة العقاد والمازني وشكري، الذين حملوا لواء أول مدرسة نقدية في الأدب العربي الحديث. وترتكز جهودهم في أول الأمر في انتقاد المعاصرين من الكتاب المقلدين للقمامى في الشعر والنثر. ذلك النقد الذي خرجوا به إلى المهتمين بالأدب في مصر في شكل كتاب المقلدين للقمامى في الشعر والنثر. ومن اسم الديوان اشتق اسم "مدرسة الديوان" في الشعر والنقد الحديث.

وفي الحقيقة فإن جهودهم في هذا الصدد كانت قد بدأت مبكرا إلى ما قبل ذلك لعشر سنوات من هذا التاريخ أي منذ حوالي ١٩٠٩ تقريبا. كانت أشعارهم في هذا الوقت تتفق مع المفاهيم الجديدة للأدب. وبهذا يكونون أول من كتب شعرا جديدا في الشكل والمعنى في دواوينهم في هذا الوقت.

وقد اتضحت المعركة بظهور دواوين شكري والمازني والعقاد وكتابتهم في تأييد مذهبهم. ونقد المذهب المقابل. ومن أهم ما كان من تلك الكتابات المتقدمة زمنا، المقدمة التي كتبها العقاد للجزء الثاني من ديوان شكري سنة ١٩١٣، والمقدمة التي كتبها العقاد للجزء الأول من ديوان المازني، والتي يقول فيها: لقد تبوأ

منابر الأدب فتية لا عهد لهم بالجيل الماضي، ونقلتهم التربية والمطالعة أجيالا بعد جيلهم، فهم يشعرون بشعور الشرقي، ويتمثل العالم كما يتمثله الغربي. وهذا مزاج أول ما يظهر من ثمراته، أن نزعت الأقلام إلى الاستقلال ورفع غشاوة الرياء والتحرر من القيود الصناعية. هذا من جهة الأغراض، وأما من جهة الروح والهوى فلا يعسر على البصير أن يلمح القطوب للحياة في أسرة الشاعر العصري الحديث. وحسب الأدب في العصر الحديث من روح الاستقلال في شعره، أنهم رفعوه من مبالغة الامتهان التي عفرت جبينه زمنا. فلن نجد اليوم شاعرا حديثا يهنئ بالمولود وما نفض يديه من تراب الميتلا، ولن نراه يطري من هو أول ذاميه في خلوته، ويقذع في هجو من يكبره في سريره، ولا واقفا على المرافئ يودع الذهاب ويستقبل الآيب.<sup>٢</sup>

### انحسار الاتجاه التجديدي الذهني

إذا كانت الظاهرة الأولى من ظواهر الشعر في هذه الفترة، هي ظاهرة تجمد الاتجاه المحافظ البياني، فالظاهرة الثانية هي ظاهرة انحسار الاتجاه التجديد الذهني، فقد شهدت هذه الفترة انحسار هذا الاتجاه كما وكيف، حتى أوشك أن يختفي من الحياة الأدبية. لولا جهود العقاد وإصراره وأصالته التي حفظت لهذا الاتجاه الاستمرار برغم ما أحاط به من معوقات.

وقد كان من أهم أسباب انحسار هذا الاتجاه ومن أهم مظاهره أيضا توقف شكري عن إصدار دواوين جديدة، بعد أن أصدر ديوانه السابع "أزهار الخريف" سنة ١٩١٨م، وقد كان هذا التوقف من جانب شكري بسبب تأزمه النفسي، نتيجة لإحساسه بخيبة الأمل، وعدم نيله ما كان يطمح إليه من مجد أدبي يحقق له إصدار سبعة دواوين، ثم نتيجة لعديد من الصدمات في حياته العامة وصلاته الخاصة، ربما كان من أقساها عليه إقذاع صديقه المازني في نقده، وإقرار صديقه العقاد لهذا النقد، بنشره في كتاب الديوان

الذي أصدره معاً، والذي اتهم فيه شكري بالجنون، وسمى صنم الألعيب ونصح بالانصراف عن التأليف ليريح أعصابه المختلة ويريح القراء من جهوده العميقة!<sup>٣</sup>

كذلك كان من أسباب انحسار هذا الاتجاه ومن مظاهره أيضاً انصراف المازني عن الشعر، منذ أصدر ديوانه الثاني سنة ١٩١٧م. فقد اتجه إلى الصحافة وآثر القصة والمقال من بين فنون الأدب، حيث لم يعد يرى الشعر كافياً لسد حاجاته أولاً، ولا للتعبير الطليق عما يريد أن يعالج من شؤون الحياة ثانياً، وقد حول تأملاته وذهنياته الشعرية إلى لون من السخرية الواعية أجاد استخدامه فيما كان يكتب من مقالات اجتماعية ومن قصص أو صور قلمية.<sup>٤</sup>

وهكذا بقي العقاد وحده من زعماء الاتجاه التجديدي الذهني يواصل كتابة الشعر. ولكنه لم يجعل الشعر همه أو فنه الأدبي الأول. بل انصرف هو الآخر إلى الصحافة والكتابة السياسية أولاً، ثم إلى التأليف الأدبي والإسلامي أخيراً.<sup>٥</sup>

## الفصل الثاني كتاب الديوان

الديوان الذي نتناوله بالبحث هنا فهو كتاب النقد العملي الذي قام بكتابته العقاد والملازني حول الشعر المعاصر. فهما شاعران ناقدان وضعا مبادئ الشعر مقدمات الدواوين ونقدا دواوين معاصريهم من الشعراء. وبالاختصار فإن الديوان هو المقر الأدبي حيث يفقد الشعر المعاصر. العقاد ينص صراحة على أن هدف الديوان إنما هو التقدم والإصلاح وإزالة النقائص. وكان الديوان سيخرج عشرة مجلدات وستتناول الأدب عامة. ويكون هدفه الإبانة عن المذهب الجديد في الشعر والنقد والكتابة.

ويضيف إلى ذلك أنه لقد قرأ الناس وسمعوا في الصحف غايات هذا المذهب للجيل الجديد. وأظهر بعض المثقفين استعدادا لقبول هذا المذهب. وهذان الكتابان العقاد والملازني يتصيان عيوب شعراء المتقدمين ومقلايهم. ويقول العقاد: وقد سمع الناس كثيرا عن هذا المذهب في بضع السنوات الأخيرة، ورأوا بعض آثاره ونقيات الأذهان الفنية المتهدبة لفهمه والتسليم بالعيوب التي تؤخذ على شعراء الجيل الماضي وكتابة من سبقهم من المتقدمين.

يقول العقاد: فنحن في هذا الكتاب باجرائه العشرة وما يليه من الكتب تتم عملا مبدؤوا ونرحوا أن نكون فيه موقنين فيه إلى الإفادة مسددين إلى العاية<sup>1</sup>.

وذلك أنه لو وفق فهو سيقم حدا فاصلا بين عهدين. عهد قديم وعهد جديد. ويقول: وأوجز ما نصف به عملا، - إن أفلحنا فيه - أنه إقامة حد فاصل بين عهدين. لو يبق ما يسوخ اتصاهلما أو الاختلاط بينهما، وأقرب ما نتميز به مذهبا أنه مذهب إنساني مصري عربي، لأنه من ناحية يترجم عن طبع الإنسان خالصا من التقليد والصناعة المشوهة. ولأنه من ناحية أخرى ثمرة لفتح الفرائح الإنسانية عامة،

ويظهر الوجدان المشترك بين النفوس قاطبة. ويزر هذا الهدف كما يقول: "فمدرسة الشعر المصري بعد شوقي تعني بالإنسان ولا تفهم القومية في الشعر، إلا أنها إنسانية مصبوغة بصبغة وطن من الأوطان، وهي تلقي بالها كله إلى شعور الإنسان في جميع الطبقات ولا تحصر شعورها في طالب الخبز وعبيد الاقتصاد".<sup>٧</sup>

ونشعر بعمق رغبة العقاد في الجديد، وهو يقول: "وقد مضى التاريخ بسرعة لا تتبدل، وقضى أن تحطم كل عقيدة أصاما عبت قبلها. وربما نقد ما ليس صحيحا أوجب وأيسر من وضع القسطاس الصحيح وتعريفه في جميع حالاته فهذا اخترنا أن نقدم الأضنام الباقية على تفصيل المبادئ الحديثة." وقد عبر العقاد عن الرغبة في الجزء الأول من ديوانه. وأضاف أنه يستعين بعض الآداب العالمية الأخرى يقول: ووقفنا الأجزاء الأولى على هذا الغرض وسند فيها نماذج للأدب الراجح من كل لغة. وقواعد تكون كالسبار لأغوارها وكالميران لأقدارها.<sup>٨</sup>

وجاء دور المازني وهو يبدأ في الجزء الثاني من الديوان بمقدمته تحت عنوان "أدب الضعف" فيقرر أنه يوجد في كل بلد متطفلون على الأدب ليعيشوا على أدب الكتاب الآخرين في تلك البلدان. واختتم المقدمة بأن قرر لكل لغة مزاياها والآداب الجيد لا يختص بلغة واحدة أو مكان أو زمان، حيث أنه يقدم مبادئ الحياة بصفة عامة وليس تحت ظروف معينة ويقول: إن الجيد في لغة جيدة في سواها. والآداب شئ لا يختص بلغة ولا زمان ولا مكان، لأن ستره إلى أصول الحياة العامة لا إلى المظاهر والأحوال الخاصة العارضة.<sup>٩</sup>

وقد انتقد المازني والعقاد في الجزء الأول والثاني في الديوان الكتاب المعاصرين أمثال شوقي والمنفلوطي. ولكن الخصومة بين شكري والمازني كانت أشبه بحرب أهلية أدت إلى فشل المشروعات الدين كانوا قد وعدوه وهو تحرير عشرة أجزاء فتوقف المشروع بعد إصداره جزئين ليس غير.

قام العقاد والمازني بكتابة الديوان. لقد قوبل بنقد كبير، ولكنه خطوة حاسمة في القضاء على التقاليد

البالية، في الأدب العربي، بل في الشرق العربي كله. وظهرت كتب أخرى مثل الغربال في النقد الأدبي العربي

العملي، ولكن الديوان يقوم كمنارة أولى في الميدان.<sup>١٠</sup>

وفي بداية ١٩٢١ ظهر في السوق جزءان من كتاب الديوان يتضمنان مائة وستين صفحة. وترتب

على ظهورهما تأسيس الجيل الجديد في الأدب العربي في مصر. وقامت مدرسة باسم "مدرسة الديوان" يقول

عنه العقاد: والواقع أن هذه المدرسة المدرسة المصرية ليست مقلدة للأدب الإنجليزي. ولكنها مستفيدة منه.

نعم لقد تأثر كتاب الجيل الجديد الثلاثة بالكتاب الأوربيين وبصفة خاصة بالرومانسية الإنجليزية. ورواد هذا

الجيل هم عبد الرحمن شكري ثم المازني والعقاد.



### الفصل الثالث

## عباس محمود العقاد (١٩٦٤ - ١٨٨٩)

قد ولد في أسوان في أسرة مصرية متوسطة الدخل، كان العقاد رجلا متعدد الجوانب، فقد كان كاتباً

وشاعراً وناقداً وصحفيًا وفيلسوفًا ومفكرًا وسياسيًا، انه كتب كثيرا عن الدين الإسلامي.

انتهى العقاد من دراسته الابتدائية في عام ١٩٠٣م في أسوان. ودرس في هذه الفترة الشعر العربي

القديم. وتعلم اللغة الإنجليزية أول ما تعلمها نتيجة اختلاطه بالجنود الإنجليزي. وجاء إلى القاهرة بعد ذلك

بمحا عن وظيفة وحصل عليها، إلا أنه أنفق نقوده في شراء الكتب النادرة في طبقات رخيصة، واستمر في

تدريس نفسه بنفسه في اللغة العربية والإنجليزية.

والتحق العقاد بجريدة "الدستور" عام ١٩٠٧م التابعة للحزب بأجر شهري قدره ست جنيهات،

وخلال هذه الوظيفة تعرف على كتاب ناشئين كانوا يكتبون في تلك الصحيفة ومن بينهم المازني.

وأصبح العقاد بدون عمل في سنة ١٩٠٩ ثم مرض وعاد إلى بلده أسوان. وفي نهاية عام ١٩١٢

التحق العقاد بمجلة "البيان" التي كان يصدرها عبد الرحمن البرقوقي منذ سنة ١٩١١. وكان يكتب فيها هو

وعبد القادر المازني وعبد الرحمن شكري. وقد كتب هؤلاء الثلاثة شعرهم في ضوء الشعر الرومانسي

الإنجليزي. وكان شعرهم يعبر عن مشاعرهم الشخصية وأحاسيس الإنسانية، وأسسوا المدرسة الجيل الجديد،

وقادوا حركة الشعر الحديث عام ١٩١٣.

فله قصيدة نونية نظمها على نموذج قصيدة لابن الرومي. استوعب في شعره الفكر الغربي يبرز به تأثير

الآداب الغربية فيه. وصف عواطف الشعب السياسية والوطنية. وكان كل شيء في حياتنا اليومية صالحاً

ليكون مادة لشعره. له عشرة دواوين. هي يقظة الصباح (الديوان الأول) وهج الظهرية، أشباح الأصيل،

أشجان الليل، وحي الأربعين، هدية الكروان، عابر سبيل، أعاصير مغرب، بعد الأعاصير ما يعد البعد.<sup>١١</sup>

وقد طلب شكري من العقاد أن يكتب مقدمة للجزء الثاني من ديوانه الذي صدر عام ١٩١٣. كان

العقاد يرى أن الشعر مثل الوحي.

ويقول عن الشعر ليس الشعر لغوا تهذى به القرائح فتلقاه العقول في ساع كلالها وفتورها، فلو كان

كذلك لما كان له هذا الشأن في حياة الناس. لا بل الشعر حقيقة من الحقائق ولب الباب، والجوهر الصميم

من كل ما له ظاهر في متناول الحواس والعقول، وهو ترجمان النفس والناقل الأمين عن لسانها. وإن كانت

النفس تكذب فيما تحس به أو تداجى بينها وبين ضميرها، فالشعر كاذب وكل شيء في هذا الوجود كاذب،

ودنيا كلها رياء، ولا موضع للحقيقة في شيء من الأشياء.<sup>١٢</sup>

وفي مقدمة الجزء الأول من ديوان المازني هاجم العقاد الشعر القديم ومدح الشعر الحديث للمازني.

ويقول تحت عنوان "الطبع والتقليد في الشعر المصري" حسب بعض الشعراء اليوم أنه ليس على أحدهم إذا

أراد أن يكون شاعرا عصريا إلا أن يرجع إلى شعر العرب بالتحدي والمعارضة، فإن كان العرب يصف الإبل

والخيام والبقاع وصف هو البخار والمعاهد والأمصار، وإن يشبهوا في أشعارهم بدعد ولبنى والرباب، ذكر هو

اسما من أسماء نساء، ثم حور من تشبيهاهم وغير ذلك من مجازاتهم بما يناسب هذا فيقال حينئذ إنه شاعر

مبتدع عصري، وليس بمقلد قديم، وهذا حسابان خطأ. فما أبعد هذا الشعر عن الابتداع، والأخلق به أن

يسمى "الابتداع التقليدي" لأنه ضرب من ضروب التقليد.<sup>١٣</sup>

هاجم العقاد الابتداع التقليدي قائلا "وقد أصاب للأدب العربي هذه الآفة، فقتلت فيه روح البراعة

والصدق وقصرته زمانا على التقليد والمحاكاة، حتى لقد بلغ بهم الولوع بما سميناه الابتداع التقليدي إنهم

وصفوا الدمع الأحمر والدمع الأصفر والدمع الأزرق والدمع البنفسجي، وحسبوا ذلك بدائع الافتنان وإنهم جاؤا بطائل كبير.<sup>١٤</sup>

وفي عام ١٩١٦ أصدر العقاد الجزء الأول من ديوانه "يقظة الصباح" وكتب مقدمته بنفسه تحت عنوان "منافع الآداب" ويفرق بين آداب الذكاء وآداب الطبائع. فيقول: فينبغي أن يفرق الناقد بين آداب الذكاء وآداب الطبائع.

فآداب الذكاء زخارف أقوال وقصيد، وخواطر وتلفيقات أوهام، وهو حبر على ورق، وآداب الطبائع إيمان صادق وشعور وافق وعمل ناطق وهي كلمات من لحم ودم.<sup>١٥</sup>

قام العقاد بنصيب كبير، وساهم مساهمة فعالة في النقد التحضيري قبل تأليف الديوان. ومعظم كتاباته كانت على المبادئ السليمة للشعر الحديث. وكتب مقدمتين لديوانه شكري والملازني، وعرض أبرز مذاهبه في الشعر الحديث.

فبعد أن أخرج الجزء الأول من ديوانه الأول سنة ١٩١٦ ثم الجزء الثاني سنة ١٩١٧ أخرج الجزء الثالث من هذا الديوان سنة ١٩٢١، ثم جمع تلك الأجزاء وضم إليها الجزء الرابع وسمى كل ذلك: "ديوان العقاد" ونشره سنة ١٩٢٨.<sup>١٦</sup>

وفي سنة ١٩٣٣ أخرج العقاد ديوانين آخرين، الأول باسم "وحي الأربعين" والثاني باسم "هدية الكروان" ثم أخرج سنة ١٩٣٧ ديوانه المسمى "عابر سبيل".

## عبد الرحمن شكري (١٨٨٦ - ١٩٥٨م)

### حياته

ولد الشاعر عبد الرحمن شكري بمدينة بور سعيد ١٢ أكتوبر عام ١٨٨٦م في أسرة مغربية الأصل.

ولد عبد الرحمن شكري لأب يسمى محمد شكري عياد. كان في أيام الثورة العربية يشتغل معاونا في

"الضابطية" بالإسكندرية. إتصل برجال الثورة وعلى رأسهم عبد الله نديم، (١٨٩٦ - ١٨٤٥م) ولم يلبث

أن انضم إليهم وعمل تحت لوائهم. ولما أخفقت الثورة سجن مع الثائرين، ثم عفي عنه وظل بدون عمل

مدة، ثم عين ضابطا في معاونة محافظة القتال ببور سعيد، ومكث في هذه الوظيفة بقية حياته. ورزق بابنه في

هذه البلدة. وسماه عبد الرحمن في سنة ١٨٨٦م وتصادف أن مات جميع أبنائه الذين يكبرونه، فاهتم به

اهتماما خاصا. فألحقه أولا بالكتاب ثم نقله إلى المدرسة الابتدائية فالمدرسة الثانوية وتخرج فيها سنة

١٩٠٤م. والتحق بمدرسة الحقوق، ولكن ترك دراسة القانون بسبب تحريض الطلاب على الإضراب استجابة

لزعماء الحزب الوطني، واتجه إلى دراسة الأدب التي كانت تتفق ميله، وتحقيقا لهذه الغاية التحق بمدرسة

المعلمين العليا وتخرج فيها سنة ١٩٠٩م. ودرس كتب الأدباء وكان أكثر ما يعجبه من الأدب كتاب الأغاني

لأبي الفرج الصفهاني، وديوان الحماسة لأبي تمام وديوان الشريف الرضي ومهيار الديلمي. وفي هذه الأثناء

كان يكتب في صحيفة "الجريدة" التي يحررها لطفى السيد (١٨٧٢ - ١٩٦١) بعض ما ينشئه من المقالات

ومن الأشعار، وهي الجريدة التي كانت تحمل راية التجديد حينئذ. وكان يقبل على الكتابة فيها شباب

الأدباء من مثل محمد حسين هيكل وطه حسين غيرهما. وفي سنة ١٩٠٩م نشر أول ديوان له سماه "ضوء

الفجر". ثم عين في مدرسة الثانوية بالإسكندرية.

وفي سنة ١٩١٣ نشر الجزء الثاني من ديوانه، "لآلي الأفكار" وكتب له العقاد مقدمة رائعة عن الشعر ومزاياه حيث يقول: "ليس الشعر لغوا تهذي به القرائح فتتلقاه العقول في ساعة كلالها وفتورها، فلو كان كذلك لما كان للعقول هذا الشأن في حياة النفس، بل الشعر حقيقة الحقائق ولب الأبواب والحكم الصميم من كل ما له ظاهر في متناول الحواس وهو ترجمان النفس، الناقل الأمين عن لسانها.<sup>١٧</sup>

وفيها يقول "اليوم يلتقي قراء العربية هذا الجزء الثاني من ديوان شكري، فيلتقون صفحات جمعت من الشعر أفانين، ويرون في هذا الصفحات نظرة المتدبر وسجدة العابد، ولمحة العاشق وزفرة المتوجع وصيحة الغاضب، ودمعة الحزين وابتسامة السخر، وبشاشة الرضا وعبوسة السخط، وفتور اليأس وحرارة الرجاء، إن شعر شكري لا ينحدر انحدار السيل في شدة وصخب وانصباب ولكنه ينبسط انبساط البحر في عمق وسعة وسكون.<sup>١٨</sup>

واضح أنه يشيد بهذا الديوان لأن صاحبه يصدر فيه عن نفسه وعواطفه وانفعالاته مصورا كل ناطقة من خواجه وكل صامته في الكون من حوله فهو شاعر من طراز جديد، طراز وجداني، وهو ليس طرازا عنيفا كطراز من يتحدثون عن ثورتنا الوطنية والسياسية، وإنما هو طراز هادئ، طراز عقل يتأمل ونفس تتحدث في هدوء بصوت خفيض.<sup>١٩</sup> ولا يزال شكري يخرج جزءا تلو جزء من ديوانه حتى يخرج الجزء السابع سنة ١٩١٩ م. قد ظهر الأخير أي الجزء السابع من ديوانه في سنة ١٩١٩ م. وهو آخر ديوان ظهر له. ومن قصائده آية الحسن وهي من أحب شعره في الغزل، والشلال، يا وضئى البسمات، والأمانى، والضوء، والمملك الثائر، وهي من أحسن شعره. والموت وهي كذلك من أحسن شعره. لم يخرج ديوانا بعد هذا التاريخ. بل كان يكتب كثيرا من القصص والمقالات في مجلات المقتطف والرسالة والثقافة. وفي أكثر دواوينه مقدمات يصف طريقته في الشعر.

وتوفي بالإسكندرية في ١٥ من ديسمبر عام ١٩٥٨. وقبل أن يتم شكري ثلاث سنوات في مدرسة المعلمين كان الجزء الأول من ديوانه "ضوء الفجر" في أيدي القراء. ظهر عام ١٩٠٩. وكان الشاعر في الثالثة والعشرين. يقف على عتبة الحياة. صدر الجزء الثاني من ديوانه "لآلي الأفكار" عام ١٩١٣ بعد عودته من إنجلترا حيث مكث فيها ثلاث سنوات للدراسات العليا. وكانت هذه الإقامة بإنجلترا وزيارة بعض أقطار أخرى مما وسع آفاق ثقافته وتجاربه وما أوحى عليه من قصائد ذات صور جديدة. ومن تلك القصائد عن الغابة والبحر والجبل والشلال والشتاء في إنجلترا وكان ينكب على مطالعة المئات من الكتب الإنجليزية والمترجمة إليها وخاصة في التاريخ والقصص والأدب ودواوين الشعر.<sup>٢٠</sup>

لقد تأثر بالأدب الإنجليزي تأثراً كبيراً حتى أنه مثل الشاعر الإنجليزي ملتون.<sup>٢١</sup>

ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدان

يرى شكري أن الشعر ضرورة من لوازم الحياة فإن الشاعر الصميمي أن الشعر أجل عمل يعمل به في حياته، وأنه خلق للشعر، وليس الشعر متمماً لحياته بل هو أساسها كالعطر للزهرة والعدوبة للماء والنحل لشهده والشاعر لشعره. ولكن الشاعر إذا لم يتعهد بالتهذيب بقي كالحديقة التي طغى عليها كالأها ومات شعرها.

### المجاهد الجريح

هو العيش حرب والحياة جهاد وإن حياة المعلمين سهاد

فلا أشتكى أني جرعت مريها فيا ليت عمرا في الحياة يعاد

فأجرع منها الحلو والمر إنما مشاريب من يهوى الحياة براد

وليست نفوس الناس إلا أسنة لها كل يوم مطعن وجلاد

وليست نفوس الناس إلا سيوفهم      سيوف ولكن ما لهن غماد  
 ويصدأ وحه السيف      والسيف قاطع      إذا كان سيفاً ليس فيه مذاد  
 وليست حياة المرء إلا كشعلة      وآخر ذياك الضرام رماد  
 وفي العيش مسعى لليب ومطلب      هل العيش إلا مطمح ومراد  
 وهب أن ما يأتي الفتى غير مقنع      أليست لذاذات الطراد تراد  
 ويحصد سعي المرء ما شاء عزمه      وللمرء يوم ليس فيه حصاد  
 وما ينفع المرء الخزين بكاؤه      إذا ظل ورد المرء وهو ثماد  
 ولولا خضوع النفس للجسم ما بكى      جريح ولم يعزز عليه تلاد  
 فلا تعذلوني إن ألمت فإني      جريح من الأحداث وهي صعاد  
 ولا تعذلوني إن حزنت فطالما      أصبت ولي بين الكمأة فؤاد  
 وبأكلما خضت الخطوب وصهوتي      رجاء ألا إن الرجاء جواد

## الفصل الرابع محاولة مطران في الرومانسية

يذهب بعض الدارسين إلى أن الشاعر خليل مطران هو الأب الشرعي لهذا الاتجاه. ويعللون هذا الرأي بأن الشاعر مطران قد بدأ يكتب عن خطوط هذا الاتجاه الشعري الجديد منذ سنة ١٩٠٠م، حين كتب في المجلة المصرية مباشرة به لافتا الأنظار إليه، بمثل قوله: "إن اللغة غير التصور والرأي، وإن خطة العرب في الشعر لا يجب حتما أن تكون خطتنا، بل لهم عصرهم ولنا عصرنا، ولهم أدبهم وأخلاقهم وحاجاتهم وعلومهم، ولنا آدابنا وأخلاقنا وحاجاتنا وعلومنا، ولهذا وجب أن يكون شعرنا ماثلا لتصورنا وشعورنا لا لتصورهم وشعورهم وإن كان مفرغا في قوالبهم محتذيا مذاهبهم اللفظية."<sup>٢٢</sup>

ثم أذاع ديوانه سنة ١٩٠٨م مصدرا بمقدمة تمثل الخطوط العريضة للمبادئ الأساسية لهذا الاتجاه، ومحتويا على كثير من النماذج التي تعتبر تطبيقا ناجحا له، وفي هذه المقدمة يقول مطران:

"هذا شعر ليس ناظمه بعبده، ولا تحمله ضرورات الوزن أو القافية على غير قصده، يقال فيه المعنى الصحيح باللفظ الفصيح، ولا ينظر قائله إلى جمال البيت المفرد ولو أنكره جاره وشم أخاه، ودابر المطلع، وقاطع المقطع، وخاتم الختام، بل ينظر إلى جمال البيت في ذاته وفي موضعه، وإلى جملة القصيدة في تركيبها وترتيبها، وفي تناسق معانيها ومواقفها."<sup>٢٣</sup>

ويضيف أصحاب هذا الرأي أن العمل الشعري الأول لهذا الاتجاه، قد ظهر سنة ١٩٠٩م، وهو الديوان الأول لشكري، ثم تبعه الديوان الأول للمازني سنة ١٩١٣م، وأخيرا ظهر الديوان الأول للعقاد سنة ١٩١٦م. وقد يزيد أصحاب هذا الرأي أن العمل النقدي الأول الذي يحوي مبادئ هؤلاء في تجديد الشعر، إنما هو كتاب الديوان، الذي أصدره العقاد والمازني سنة ١٩٢١. وهذا معناه عند أصحاب هذا الرأي أن



هؤلاء الشعراء المحددين المصريين الثلاثة، قد أظهروا آثارهم التجديدية بعد كتابات مطران التي تعتبر الريادة الأولى لهذا الاتجاه.<sup>٢٤</sup>

ولكن العقاد ينكر تأثيره هو أو أحد رفاقه بمطران، ويؤكد أنه كان هو وزميله يتعرفون على ألوان التجديد في الشعر بقراءتهم المباشرة في الأدب الإنجليزي، وعدم احتياجهم لأن يتأثروا بالتجديد نقلا عن مطران، الناقل بدوره من الفرنسية. بل يبالغ العقاد فيرى أن مطران قد تأثر هؤلاء الشعراء الثلاثة، ويستدل على ذلك باتجاه مطران أخيرا إلى الأدب الإنجليزي وترجمته لبعض أعمال شكسبير.<sup>٢٥</sup>

والواقع أن العقاد وصاحبيه لم يظلوا غافلين عن التجديد حتى ظهر ديوان مطران، سنة ١٩٠٨. ولم يكن كتاب الديوان الذي ظهر ١٩٢١ هو بداية المعركة بينهم وبين المحافظين. فألحق أن كتاباتهم التجديدية قد بدأت بكتابات العقاد في صحيفة الدستور منذ سنة ١٩٠٧. حيث نشر بها وبغيرها آراء نقدية تجديدية عن "التشبيه الشعري" و"الشعر والألفاظ" و"الكاتب والشاعر" وغير ذلك. وألحق أيضا أن معركتهم مع المحافظين. قد بدأت بنقادات العقاد لحافظ وشوقي، التي بدأها منذ سنة ١٩٠٩م. مثل نقده لحافظ إبراهيم ونعيه عليه خلطه للاغراض في قصيدة واحدة وقوله عنه سنة ١٩٠٩ ما خلاصته: إنه أخذ قطعة من الحرير وقطعة من المحمل وقطعة من الكتان، وكل منها صالح وحده لصنع كساء فاخر في نسجه ولونه، ولكنها إذا جمعت على كساء واحد فتلك مرقعة الدراويش.<sup>٢٦</sup>

ومثل نقده لشوقي واتهامه له بالغلو والتقليد وعدم الصدق، وقوله عنه سنة ١٩١٠ ما نصه:

"ليت شعري ماذا كان يعني شوقي بك بقوله على قبر بطرس غالي باشا:

القوم حولك يا ابن غالي خشع يقضون حقا واجبا وذماما

يتسابقون إلى ثراك كأنه ناجيك في عهد الحياة زحاما

يكون موثلهم وكهف رجائهم والأريحي المفضل المقداما

أكان يريد أن يقول إن زائري قبر الرجل وفيهم ساداته الأمراء والوزراء والعظماء والعلماء، وفيهم نائب مولاه الأمير ووكلاء الدول وأكابر السراة والوجهاء، ممن كانوا يقصدون من نادي ابن غالي موثلا وكهف رجاء، يستعطون من أريجة ساكنه الجواد، ويستدرون من إفضاله؟ أم أراد أن يقول كما قال الناس في هذا المعنى فأخطأ التقليد؟ أم كان لا يريد أن يقول شيئا أم تراه يحسب أنهم ملكوا عليه حتى جموع عينيه، وأنه نائحة المعية أعد ليرثي كل من يموت من خدامها بلا مقابل.<sup>٢٧</sup>

وقد اتضحت المعركة بظهور دواوين شكري والمازني والعقاد، وكتاباتهم في تأييد مذهبهم ونقد المذهب المقابل، ومن أهم ما كان من تلك الكتابات المتقدمة زمنا، المقدمة التي كتبها العقاد للجزء الثاني من ديوان شكري سنة ١٩١٣. والمقدمة التي كتبها العقاد للجزء الأول من ديوان المازني، والتي يقول فيها: "لقد تبوأ منابر الأدب فتية لا عهد لهم بالجيل الماضي، ونقلتهم التربية والمطالعة أجيالا بعد جيلهم، فهم يشعرون بشعور الشرقي، ويتمثلون العالم كما يتمثله الغربي، وهذا مزاج أول ما يظهر من ثمراته، أن نرعت الأقلام إلى الاستقلال ورفع غشاوة الرياء والتحرر من قيود الصناعية. هذا من جهة الأغراض، أما من جهة الروح والهوى فلا يعسر على البصير أن يلمح القطوب للحياة في أسرة الشاعر العصري الحديث... وحسب الأدب في العصر الحديث من روح الاستقلال في شعرائه، أنهم رفعوه من مراغة الامتحان التي عفرت جبينه زمنا. فلن نجد اليوم شاعرا حديثا يهنئ بالمولود وما نفرض يديه من تراب الميت، ولن نراه يطري منه أول ذاميه في خلوته، ويقذع في هجو من يكبره في سريرته، ولا واقفا على المرور يودع الذاهب ويستقبل الآيب.<sup>٢٨</sup>

ومن تلك الكتابات المتقدمة أيضا كتابات العقاد في صحيفة عكاظ سنة ١٩١٤ بعنوان "الشعراء

الندابون" ومما جاء في تلك الكتابات قوله "أن للشعراء الندابين شعرهم وللعصر شعره، وعليهم أن يقرأوا في

قبورهم، ويتزملوا بأكفانهم حتى إذا تهدم جدار أو اصطدم قطار أو وقع طيار هنالك يثوب الداعي بهم.<sup>٢٩</sup>

ومن تلك الكتابات كذلك المقالات النقدية التي كتبها المازني في صحيفة عكاظ سنة ١٩١٣، ناقدا

لحافظ إبراهيم، ومقارنا بينه وبين عبد الرحمن شكري، وقائلا في ذلك: وبعد فإن حافظا إذا قيس إلى شكري

لكان كالبركة الآجنة، إلى جانب البحر العميق الزاخر، وحسب القارئ أن يتأمل ديوانيهما ليعلم ما بينهما

من البعد، وليعرف كيف يقعد الخيال بحافظ ويسمووا بشكري في سماء الفكر وكيف يجني التقليد على رجل

ويغلق في وجهه أبواب التصرف والتفنن، فإن حافظا قد حذا في شعره حذو العرب، وقلدهم في أغراضهم

وفرط عنايتهم بإصلاح اللفظ وإن فسد المعنى.<sup>٣٠</sup>

وليس يبعد بعد ذلك أن يكون مطران بما كتبه مبكرا في المجلة المصرية سنة ١٩٠٠. قد كان من

عوامل التنبيه على هؤلاء الشبان على ارتياد آفاق جديدة في الشعر ونقده، وإن كان من البعيد جدا أن يصل

هذا التنبيه المحتمل إلى مستوى الأستاذية أو الريادية، وذلك لما عرفنا من تمكن هؤلاء الشبان من أداة

الاتصال بالينابيع الشعرية الجديدة في مصادرها الأصلية، ثم لما نعرف من انطوائية مطران ووضعه الحساس

كواحد من مهاجر الشام المسيحيين الأمر الذي يصعب به أن يكون إماما أو رائدا مثل هؤلاء الشبان

الثائرين الطامحين الغيورين.

هواميش

<sup>١</sup> د/ أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث، دار المعارف، مصر، ١٩٦١، ص ١٦٥.

<sup>٢</sup> ديوان المازني، المقدمة، ص ١٢.

<sup>٣</sup> ديوان المازني، ج ١، ص ٤٨، ج ٢، ص ٨٥.

- ٤ د/ محمد منذور، محاضرات عن إبراهيم المازني
- ٥ شوقي ضيف، مع العقاد، ص ٣٨.
- ٦ مقدمة ديوان العقاد، ج ١، ص ٣.
- ٧ نفس المرجع، ص ٢ - ٣.
- ٨ نفس المرجع، ص ٣.
- ٩ مقدمة ديوان المازني، ج ٢، ص ٤.
- ١٠ ميخائيل نعيمة، الغريال، ص ٦٧.
- ١١ محمد صديق وصديق الكبير، المختصر في تاريخ الأدب الحديث، ص ١٣٩.
- ١٢ مقدمة ديوان شكري، ج ٢، ص ٩٧.
- ١٣ مقدمة ديوان المازني، ج ١، ص ٩.
- ١٤ نفس المرجع، ص ١١.
- ١٥ مقدمة ديوان العقاد، ج ١، ص ٤٣.
- ١٦ شوقي ضيف، مع العقاد، ص ١٣٨.
- ١٧ ديوان العقاد، ص ٥.
- ١٨ العقاد، مقدمة ديوان شكري ص ١٠٤.
- ١٩ الطبع والتقليد، مقدمة عباس محمود العقاد.
- ٢٠ نقولا يوسف، مجلة العالم العربي، ١٥/٩/١٩٥٦.
- ٢١ جون ميلتون (John Milton)، ٩ ديسمبر ١٦٠٨ - ٨ نوفمبر ١٦٧٤). شاعر وعالم إنجليزي من القرن ١٧، يعرف أكثر لقصيدته "الفردوس المفقود" (بالإنجليزية: Paradise Lost) التي كتبها في عام ١٦٦٧. أصيب في فترة لاحقة من حياته بالعمى، وكتب حول ذلك قصيدة مكونة من ١٤ بيتاً شعرياً. إلى جانب جيفري تشوسر وويليام شكسبير، يعتبر جون ميلتون من أبرز شعراء الأدب الإنجليزي.
- ٢٢ المجلة المصرية، ١٩٠٠، ع ٣، ص ٨٥.
- ٢٣ مقدمة ديوان مطران.
- ٢٤ د/ أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر، ص ١٥٢.
- ٢٥ شعراء مصر وبيئاتهم، ص ٢٠٠.
- ٢٦ د/ أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر، ص ١٥٢.
- ٢٧ نفس المرجع، ص ١٥٣ - ١٥٤.
- ٢٨ مقدمة ديوان المازني، طبعة المجلس الأعلى، ص ١٣ - ١٤.
- ٢٩ د/ أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر، ص ١٥٥.
- ٣٠ نفس المرجع، ص ١٥٥.